Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

العدد السابع عشر – حزيران – 2026 / June

سَلْخ الهوية الدينية في علم الكلام الجديد

م. د. صادق كاظم مكلف [1]
[1] الكلية التربوية المفتوحة مركز ميسان الدراسي – العراق

Sadeqkazem89@gmail.com

ملخص. يتناول هذا البحث ظاهرة سلخ الهوية الدينية في علم الكلام الجديد، وهي قضية محورية شغلت الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ويحلل أسبابها الفكرية والفلسفية، وتجلياتها العقدية والاجتماعية، وآثارها على الفرد والمجتمع، وسبل معالجتها في إطار رؤية علم الكلام الجديد، وتوضح الدراسة أن لهذه الظاهرة آثاراً عميقة، تُضعف الإيمان، وتقوض مرجعية النصوص الدينية، وتُهدد التماسك الاجتماعي واستمرارية الهوية الإسلامية كنظام موحد، وتُحوّل الدين من مرجعية إلهية ثابتة إلى تجربة فردية هشة تفتقر إلى أسس متينة عندما ينفصل الإنسان عن بُعده التوحيدي. ترصد هذه الدراسة الجذور الفكرية والفلسفية لهذه الظاهرة، لا سيما التحولات المعرفية الحديثة كالعلموية التي تُخضع كل شيء لمعايير العلم التجريبي، والعلمانية الوجودية التي تُقصي الدين عن جميع جوانب الحياة، والنسبية الأخلاقية التي تُنكر ثبات القيم، وقد ساهمت هذه التوجهات في تفكيك المرجعيات الدينية التقليدية، وسلخ دور الوحي في تشكيل الوعي الإنساني. يُسلّط هذا البحث الضوء على موقف عدد من المفكرين المعاصرين، ولا سيما مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، الذين أكدوا على أن الهوية الدينية ليست مجرد انتماء اجتماعي أو طقوس شكلية، بل هي كيان فكري وروحي شامل، يحفظ المعنى الوجودي للإنسانية ويهديها إلى غايتها الحقيقية، ويتحقق ذلك من خلال الموازنة بين المبادئ العقائدية ومتطلبات العصر ، دون الخضوع للتأويلات البشرية المفرطة أو التحريفات العقائدية، وقد وضع الأئمة (عليهم السلام) مبادئ واضحة للحفاظ على الهوية الدينية، كتعليم العلوم الإسلامي، وحفظ النصوص المقدسة، وتوجيه الفكر العلمي الاجتهادي في إطار المبادئ الثابتة، وتشجيع النقد البناء الذي لا يسلخ الثوابت، كما ورد عن الإمام علي (عليه السلام): "من اعتصم بكتاب الله تمسّك بالهدى، ومن خالفه أضلّ

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

سبيله"، وأيضاً عن الإمام الصادق (عليه السلام): "إنما الدين معناه أن تعرف الحق وتعمل به، فلا تزيغوا عنه بآراء فاسدة". ويشير البحث أيضاً إلى أن علم الكلام الجديد يقدم أدوات تجديد عقلانية تهدف إلى إعادة بناء الهوية الدينية من خلال تطوير مناهج التفكير ودمج المعرفة الإنسانية الحديثة، مع الحفاظ على الثوابت العقائدية ومقاصد الشريعة، ليظل الدين منهج حياة شاملاً للأمة، قادراً على مواجهة تحديات العصر دون المساس بجوهره الإلهي أو هويته الأساسية.

الكلمات المفتاحية: سَلْخ الهوية الدينية، علم الكلام الجديد، العلمانية الوجودية، التجديد المعرفي، المرجعية الدينية.

Abstract. This research addresses the phenomenon of the erosion of religious identity in contemporary Islamic theology, this is a pivotal issue that has preoccupied Islamic thought in the modern era, the study analyzes its intellectual and philosophical causes, its doctrinal and social manifestations, and its effects on the individual and society. It also explores ways to address it within the framework of contemporary Islamic theology. The study demonstrates that this phenomenon has profound effects, weakening faith, undermining the authority of religious texts, threatening social cohesion and the continuity of Islamic identity as a unified system, and transforming religion from a fixed divine authority into a fragile individual experience lacking solid foundations when individuals become detached from their monotheistic dimension**.** This study examines the intellectual and philosophical roots of this phenomenon, particularly modern epistemological shifts such as scientism, which subjects everything to the standards of empirical science; existential secularism, which excludes religion from all aspects of life; and moral relativism, which denies the immutability of values. These trends have contributed to the dismantling of traditional religious authorities and the erosion of the role of revelation in shaping human consciousness. This research sheds light on the position of several contemporary thinkers, particularly those of the Ahlul-Bayt school (peace be upon them), who emphasized that religious identity is not merely social affiliation or formal rituals, but rather a comprehensive intellectual and spiritual entity that preserves the existential meaning of humanity and guides it to its true purpose. This is achieved through a balance between doctrinal principles and the demands of the age, without succumbing to excessive human interpretations or doctrinal distortions. The Imams (peace be upon them) established clear principles for

preserving religious identity, such as teaching Islamic sciences, preserving sacred texts, guiding scholarly and independent reasoning within the framework of established principles, and encouraging constructive criticism that does not undermine fundamental tenets. As Imam Ali (peace be upon him) said: "Whoever adheres to the Book of Allah holds fast to guidance, and whoever opposes it goes astray." Imam al-Sadiq (peace be upon him) also said: "Religion means knowing the truth and acting upon it, so do not deviate from it with corrupt opinions". The research also indicates that the new Islamic theology offers rational tools for renewal aimed at reconstructing religious identity by developing methodologies of thought and integrating modern human knowledge, while preserving doctrinal constants and the objectives of Islamic law. This ensures that religion remains a comprehensive way of life for the nation, capable of confronting the challenges of the age without compromising its divine essence or fundamental identity.

Keywords: Disintegration of religious identity, contemporary Islamic theology, existential secularism, epistemological renewal, religious authority.

المقدمة

في العقود الأخيرة، شهد المشهد الفكري بروز موجات تجديد واسعة في مجال الدراسات الدينية، أبرزها ما يُعرف بعلم الكلام الإسلامي الجديد، سعت هذه الحركة إلى إعادة تفسير مفاهيم العقيدة والشريعة والنصوص الدينية في ضوء منهجيات حديثة وما بعد حداثية مستوردة من الفلسفات الغربية المعاصرة، وقد أدى هذا التحول المنهجي إلى ظهور رؤى تتجاوز التطور المشروع للعلوم الإسلامية، وتسعى إلى إعادة صياغة الدين نفسه وفق مناهج أنثروبولوجية أو تأويلية أو تاريخية، وكثيراً ما تؤدي هذه المناهج إلى فصل الدين عن أسسه الميتافيزيقية والإلهية، وتجريده من مبادئه العقائدية والشرعية، ومن هنا نشأت ظاهرة يمكن وصفها بتجريد الهوية الدينية، والتي تُمثل أحد أهم التحديات التي تُهدد بنية الوعي الإسلامي وأطره المعرفية.

تكمن أهمية هذه القضية في أن الهوية الدينية ليست مجرد منظومة طقوس أو ثقافة، بل هي بنية عقائدية ومعرفية متكاملة، تستمد عناصرها من الوحي الإلهي، ومن منظومة قيم وشرائع أسست الحضارة الإسلامية، وهدت البشرية نحو الغاية الأسمى لوجودها، لذا فإن أي محاولة لإعادة ترسيخ هذه الهوية خارج

إطار الوحي، أو إخضاع النصوص المقدسة لمنهجيات تجردها من قدسيتها، تُمثل تهديداً مباشراً للسلطة الدينية، ولمفهوم الدين نفسه.

اعتمدت العديد من مشاريع الخطاب الجديد في علم الكلام نهجاً قائماً على تفكيك المفاهيم التقليدية للوحي والنص والعقيدة، مستخدمةً التأويل والفلسفة النقدية والقراءات التاريخية للدين، في بعض هذه النماذج، يصبح الوحي تجربة باطنية، والنص نتاجاً بشرياً، والشريعة الدينية قيماً نسبية، والعقائد رموزاً ثقافية، وهذا يفتح الباب أمام إعادة بناء الدين على أساس إنساني بحت، منفصلاً عن طبيعته الإلهية، يتطلب هذا التحول المعرفي تحليلاً علمياً دقيقاً يُميز بين التجديد المشروع لخدمة العلم، وبين التجاوز الذي يؤدي إلى تجريد الهوية الدينية وتشويهها.

ومن هذا المنطلق يهدف هذا البحث إلى تحليل ظاهرة سلخ الهوية الدينية في علم الكلام الجديد، من خلال دراسة الإطار المفاهيمي لهذه الظاهرة، وشرح جذورها الفلسفية والفكرية، واستعراض أبرز مظاهرها في المشاريع الكلامية المعاصرة، ومن ثم الكشف عن آثارها العقائدية والمعرفية والاجتماعية، وذلك لتقديم نقد علمي سليم يحدد معالم التجديد المقبول، ويقترح بدائل منهجية تسهم في الحفاظ على الهوية الدينية واستعادة فاعليتها.

يعتمد هذا البحث على منهج وصفي تحليلي لعرض المفاهيم وتتبع الاتجاهات، ومنهج نقدي مقارن لتحليل الرؤى الكلامية الجديدة ومقارنتها بالأسس الراسخة في التراث الإسلامي، ومنهج تاريخي لتتبع الجذور الفلسفية لهذه المناهج، ويهدف هذا العمل إلى الإسهام في خطاب أكثر عقلانية حول التجديد الديني الكلامي، وتقديم إطار متوازن يجمع بين الانفتاح الفكري على الواقع المعاصر والحفاظ على ثوابت الهوية الدينية.

1. المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والنظري لسلخ الهوية الدينية

1.1. المطلب الأول: مفهوم الهوية الدينية

الهوية مفهوم محوري في العلوم الإنسانية في أصلها الفلسفي، تشير إلى استقرار الذات ووحدتها، بينما في بعدها الاجتماعي، تشير إلى السمات الثقافية والقيمية التي تميز جماعة بشرية عن أخرى، في الإطار الإسلامي تُفهم الهوية الدينية على أنها مجموعة العناصر العقائدية والشرعية والأخلاقية التي يستمدها الفرد من الوحي الإلهي، مما يجعلها هوية تتجاوز الحدود الزمنية والثقافية، لأنها تستند إلى مصدر إلهي ثابت يحكم الوعي ويوجه السلوك (الجابري، 2009، ص 78).

تتكون الهوية الدينية الإسلامية من ثلاثة أركان أساسية:

1. العقيدة، التي تشمل التوحيد والنبوة واليوم الآخر.
2. الشريعة، التي تشمل الأحكام التي تحكم علاقة الفرد بالله، وبنفسه، وبمجتمعه.
3. الأخلاق والقيم، التي تُمثل الروح المُرشدة للسلوك الإسلامي.

تتكامل هذه العناصر لتُشكل منظومة فكرية وروحية متماسكة تُشكل شخصية المؤمن، وتُبنى عليها وحدة المجتمع الإسلامي وهويته الثقافية والحضارية (مطهري، 1992، ص42–44).

تُقدَّم الهوية الدينية في الإسلام على أنها ذات بُعدين: بُعد ثابت قائم على الوحي الإلهي، مُعبّراً عن جوهر الدين، وبُعد متغير مرتبط بالجهود البشرية لفهم هذا الوحي وتطبيقه، هذا التفاعل بين الثابت والمتغير يضمن استمرارية الهوية وقدرتها على التكيف دون فقدان أصلها الإلهي (نصر، 2003، ص 118).

1.2. المطلب الثاني: مفهوم سلخ الهوية الدينية

يشير تجريد الهوية الدينية إلى العملية الفكرية المتمثلة في إزالة العناصر الأساسية التي تُشكل البنية العقائدية والمعرفية للدين، وتحويله إلى مجرد ظاهرة ثقافية إنسانية قابلة للتغيير والتحول وفقاً لمقتضيات الواقع أو ضغوط الحداثة، ولا تقتصر هذه العملية على نقد التفسيرات الدينية، بل تمتد إلى إعادة تعريف الدين نفسه، وتجريده من طابعه الميتافيزيقي، وإعادة تفسيره وفقاً لمنهجيات إنسانية بحتة (طه، 2012، ص 95).

من أبرز آليات سلخ الهوية: تدنيس النصوص الدينية بقراءتها كمنظورات لغوية متأثرة بسياقها التاريخي؛ إعادة تفسير العقائد رمزياً وتفريغها من محتواها الميتافيزيقي؛ اعتبار الشريعة الدينية منظومة قيم نسبية متغيرة مع الزمن؛ وتأريخ الوحي بتصويره نتاجاً بشرياً أو تجربة ذاتية للنبي، هذه الآليات تؤدي إلى تفكيك أسس الدين وإعادة بنائه منفصلاً عن الوحي الإلهي (المسيري، 1999، ص 55).

وقد ظهرت نماذج تطبيقية لهذا الاتجاه في بعض المشاريع الحداثية التي جعلت من الدين نتاجاً إنسانياً، أو جعلت من النص الديني نصاً ثقافياً لا يملك سلطة مطلقة، وهو ما يمثل انفصالاً جذرياً عن البنية الأصلية للهوية الدينية، وهذا عكس ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (سورة النجم، الآيتان 3–4)، وهذه الآية تصرّح أن القرآن الكريم لا يصدر عن الهوى البشري، بل هو وحي من الله تعالى، مما يرفض بشكل مباشر أي محاولة تحويله إلى مجرد نص ثقافي أو إنتاج بشري (شبستري، 2001، ص 22).

1.3. المطلب الثالث: علم الكلام الجديد المفهوم والجذور

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

يُعرَّف علم الكلام الجديد بأنه: مجال معرفي معاصر يسعى إلى إعادة بناء موضوعات العقيدة في ضوء المناهج الفلسفية والإنسانية الحديثة، مستجيباً لمشاكل العصر في مجالات العقلانية والحرية والإنسانية والتفسير والحداثة والتأويل، دون المساس بجوهر المبادئ الدينية؛ إذ يتعامل مع الإيمان كقضية وجودية تتجاوز الدفاع الجدلي التقليدي إلى بناء رؤية معرفية جديدة تتفاعل مع الواقع والفكر المعاصر (الرفاعي، 2012، ص 17–18).

نشأ مصطلح علم الكلام الجديد كمحاولة لإعادة صياغة مفاهيم عقائدية أساسية ضمن أطر معرفية حديثة قائمة على التأويل والفلسفة التحليلية وسوسيولوجيا المعرفة، وهو يختلف عن علم الكلام التقليدي، الذي انبثق من العقائد الموحاة، بسعيه إلى إعادة النظر في مصدر الوحي، ومفهوم الحقيقة الدينية، وطبيعة العلاقة بين النص والقارئ، واضعاً بذلك الإنسانية في مركز المعرفة بدلاً من النص المقدس (الرفاعي، 2015، ص 43؛ سروش، 2002، ص 18؛ البارقي، 2023، ص 400).

في ضوء التأثير العميق للمناهج التأويلية الغربية، ولا سيما الهرمنيوطيقا الفلسفية لهانز جورج غادامير وبول ريكور، برز "علم الكلام الجديد"، كخطاب يُعيد النظر في طبيعة النصوص الدينية وحدود سلطتها، تنظر هذه المناهج إلى النص كمنتج تاريخي يتجدد معناه باستمرار من خلال تفاعل جدلي بين القارئ وأفقه المعرفي، وبينه وبين البنية الداخلية للنص، تُشدد هذه المناهج على نسبية الفهم وارتباطه بالمنظور والسياق، أدى انتقال هذه الرؤية إلى المجال الإسلامي إلى ظهور مفاهيم مثل "إنسانية النص" و"تاريخية الفهم" و"السلطة الإنسانية"، تُعيد هذه المفاهيم صياغة مركزية التفسير، مُحوّلةً إياه من النص كسلطة متعالية إلى البشرية كمُنتجة للمعنى، وهذا بدوره يُضعف السلطة الدينية التقليدية، ويُرسي أسس إنسانية حديثة تُعطي القارئ الأولوية على النص في تحديد معانيه واتجاهاته (غادامير، 1986، ج1، ص 345؛ ريكور، 2005، ص 92؛ أبو زيد، 1990، ص 45؛ أبو زيد، 1990، ص 231؛ أبو زيد، 1990، ص 260؛ سروش، 1998، ص 150).

لا يُمكن فهم هذا الكلام الجديد دون العودة إلى جذوره الفلسفية، التي تمتد إلى نقدٍ حديثٍ وما بعد حداثيٍّ لجميع المراجع الرئيسية، بما في ذلك الدين، وقد أدى ذلك إلى ميلٍ عامٍّ نحو التفسيرات الرمزية للعقائد، وتفكيكٍ لمفاهيم الوحي والنبوة والآخرة، مما أسفر عن مشاريع كلامية حديثة تحيد عن المنظور الإسلامي التقليدي (غادامير، 1986، ص 143).

1.4. المطلب الرابع: الفرق بين التجديد المشروع وسلخ الهوية

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

التجديد في الفكر الديني ضرورة حضارية تهدف إلى تفعيل آليات الفهم والتأويل والاجتهاد، شريطة أن يبقى في إطار الوحي الإلهي، التجديد هو إحياء العقل المسلم دون المساس بالمبادئ العقائدية الثابتة والنصوص القطعية، إلا أن نزع الهوية الدينية يُعدّ تجاوزاً لمبدأ الوحي نفسه، وإعادة تشكيل للدين وفق منظورات إنسانية بحتة، لذا فإن التمييز بين التجديد المشروع والتفكيك الهدام ضرورة منهجية لحماية الهوية الدينية من التآكل (العلواني، 1991، ص 119؛ الشاطبي، 1997، ج1، ص 52؛ الغزالي، 1993، ج1، ص 25؛ عمارة، 2006، ص 27).

يقوم التجديد أيضاً على مبدأ "تفعيل المقاصد"، الذي يربط النص بمقاصده العليا في حفظ الدين والنفس والعقل، والتجديد هنا ليس تغييراً للمقاصد الشرعية، بل كشفاً عن إمكاناتها في معالجة القضايا الإنسانية المعاصرة، ومن هذا المنظور، تُصبح القراءة الهادفة أداةً مهمةً للتمييز بين الثابت والمتغير، وبين ما يتأثر بالزمان والمكان (الريسوني، 2013، ص 95؛ ابن عاشور، 2001، ص 44).

في المقابل، يسعى التفكيك الهدام إلى إعادة بناء الدين كظاهرة ثقافية بحتة، مجردة من أي مرجع ميتافيزيقي أو نصي مقدس، ويستند هذا النهج إلى قراءة تفكيكية تنظر إلى الدين كمنتج تاريخي، قابل لإعادة الصياغة من منظور إنساني بحت، مما يؤدي إلى تفكيك مفاهيم عقائدية أساسية كالوحي والنبوة والمشيئة الإلهية؛ ومن هنا يأتي التحذير من الخلط بين "تجديد الدين" و"إعادة إنتاجه"؛ فالأول تطوير لآليات الفهم، بينما الثاني تقويض لجوهر مرجعيته (حلاق، 2014، ص 118؛ المسيري، 2009، ج1، ص 62).

وفقاً لهذا النهج، يُصبح التمييز بين التجديد المُنضبط والتفكيك المُدمّر للهوية خطوةً حاسمةً في الحفاظ على الإطار الأيديولوجي للأمة، مع الحفاظ في الوقت نفسه على مساحةٍ واسعةٍ للاجتهاد والتطوير العلمي، تكمن المعادلة الحقيقية في التجديد الذي يُعمّق فهم النص، لا التجديد الذي يُقوّضه (عمارة، 2007، ص 30؛ القرضاوي، 2001، ص 155).

يؤكد العديد من أعلام المذهب الإمامي على ضرورة التمييز بين التجديد المنضبط والانحراف الفكري، فالتجديد المقبول هو الذي يرتكز على أصول ومقاصد شرعية قطعية، ولا يُخلّ بالبنية العقدية أو يُبطل معاني النصوص المقدسة، وقد أوضح كبار العلماء أن أي ممارسة فكرية تتجاوز حدود المرجعية الدينية أو تُفرغ النصوص من معانيها ومقاصدها تُعدّ بدعة فكرية لا علاقة لها بالتجديد، لأنها تتحول من تطوير آليات الفهم إلى هجوم على جوهر الدين وأصوله، وبذلك يصبح المعيار المنهجي للتجديد هو الحفاظ على المبادئ العامة للشريعة الإسلامية، وصون الهوية العقدية من محاولات التفكيك أو التأويل الجامح (الطوسي، 1408هـ، ج1، ص 160؛ الحلي، 1412هـ، ص 49).

كما أكد علماء الإمامية أن البدعة لا تقتصر على البدع العملية، بل تشمل كل تأويل فكري يؤدي إلى تحريف مقاصد الشريعة الإسلامية أو إبطال قواعدها الثابتة، فجوهر البدعة عندهم هو إدخال ما ليس منها في الدين، أو إخراج ما هو منها فهماً أو تطبيقاً، وهذا ما يجعل المشاريع الفكرية التي تسعى إلى إعادة صياغة الدين وفق رؤى إنسانية بحتة خارج إطار التجديد الشرعي، لأنها لا تستلهم النص بل تتعداه (العاملي، 1410هـ، ج1، ص 57–60؛ المجلسي، 1983، ج2، ص 301–305).

كما حذّر كبار مفكري الشيعة المعاصرين من مخاطر الخلط بين التجديد العلمي والتفكيك الحداثي، فالتجديد، في نظرهم، هو تطبيق التفسير للعقل الاجتهادي في حدود النص، بينما التفكيك يُقوّض السلطة الأساسية للوحي، ويؤكدون أن الحفاظ على المقاصد العليا للشريعة الإسلامية ضروريٌّ لسلامة العقيدة، وأن تجاوز هذه المقاصد يفتح الباب أمام تفسير نسبي يُفرغ الدين من جوهره (الطباطبائي، 1997، ج5، ص 283؛ الصدر، 2013، ص 27).

وقد أكد علماء الإسلام على هذا التمييز منذ القدم، فقد أشار الشاطبي إلى أن كل تجديد لا ينطلق من مقاصد الشريعة الإسلامية ولا يحافظ على أصولها يُعد بدعة فكرية مفسدة للدين، وهذا يجعل كل مشروع فكري يُقوّض الأصول الثابتة أو يُفرغ النصوص من معناها المقصود، في دائرة الانحراف الفكري لا التجديد، كما أكد علماء أهل السنة والجماعة على هذا المعنى، وهو أن التجديد يجب أن يكون في إطار أصول الشريعة الإسلامية ومقاصدها العامة، وأن كل بدعة تخرج عن ذلك تُعتبر بدعة مفسدة (الغزالي، 1993، ج1، ص 225؛ الشاطبي، 1997، ج1، ص 52؛ الشاطبي، 1992، ج1، ص 52؛ الطوسي، 1408هـ، ج1، ص 154).

2. المبحث الثاني: جذور ومظاهر سلخ الهوية الدينية في علم الكلام الجديد

2.1. المطلب الأول: الجذور الفلسفية والفكرية لسلخ الهوية الدينية

1. الجذر العقلاني الغربي ومركزية الإنسان

من الركائز الراسخة التي ساهمت في بروز نهج "سلخ الهوية الدينية" في بعض خطابات العصر الجديد، التحول الفلسفي الذي انتشر في الغرب منذ القرن السابع عشر، حين بدأ الوعي الأوروبي يضع البشرية في مركز الكون، معتبراً إياها المرجع الأعلى لفهم الحقيقة، بعد أن كانت المرجعية الدينية مهيمنة في العصور الوسطى، هذا التحول الذي عززه فلاسفة مثل ديكارت بتركيزه على الذات المفكرة، وكانط

بتشديده على استقلال العقل وقدرته على تشريع القيم، كان له أثر بالغ في إعادة تشكيل أنماط الفكر والتفسير الحديثة (الجابري، 1995، ص 118؛ الجابري، 2009، ص 115).

مع تبني بعض المفكرين المسلمين المعاصرين لهذا الإطار الفكري، برز اتجاهٌ يسعى إلى إعادة تفسير الوحي والنصوص الدينية من منظور العقلانية الغربية الحديثة، مُقدّماً التحليل العقلاني على الإطار الميتافيزيقي والوحي الإلهي، أدى ذلك في بعض المشاريع إلى اعتبار الدين نتاجاً ثقافياً خاضعاً للشروط التاريخية، وإلى إعادة تفسير النصوص وفقاً لمعايير إنسانية بحتة، مما أضعف قدسيتها وسلطتها الملزمة، نتج عن ذلك تصور جديد للدين يخضع لإرادة العقل الفردي بدلاً من سلطة الوحي (ابن عاشور، 2001، ص 53؛ القرضاوي، 1993، ص 92–94).

2. الجذر الهرمنيوطيقي وإعادة تعريف النص

تُمثل الهرمنيوطيقا الحديثة إحدى أكثر الأدوات الفلسفية تأثيراً في بناء مفاهيم جديدة وتصوّرات لعلم الكلام الجديد، فقد غيّرت جذرياً العلاقة التقليدية بين القارئ والنص، مؤكدةً أن المعنى ليس مُعطىً ثابتاً داخل النص، بل هو نتاج تفاعل القارئ مع أفق النص وتاريخه، وقد أدى هذا النهج، كما صاغه هانز جورج غادامير في فلسفته للتأويل وفعل الفهم، وبول ريكور في نظريته "تعدد المعاني"، إلى أن يصبح النص مجالاً مفتوحاً ذا إمكانيات لا حصر لها للفهم، مستقلاً عن الأطر التفسيرية الموروثة (غادامير، 2007، ص 263).

مع تبني بعض مشاريع علم الكلام الجديد في العالمين العربي والإسلامي لهذا الإطار التفسيري، بدأ يُنظر إلى القرآن الكريم على أنه "نصٌّ لغويٌّ تاريخي"، تتشكل معانيه بسياقات قراءته وظروف المتلقي، لا بمرجعية إلهية ثابتة، أدى هذا الفهم إلى تفكيك مركزية المعنى الموضوعي للنص، وإضعاف مرجعية التفسير الأصيل، مما فتح الباب أمام قراءاتٍ تجرد الوحي من قدسيته وواجبه العقدي، مما يُمهد الطريق في نهاية المطاف لسلخ الهوية العقدية القائمة على النص الإلهي (أبو زيد، 2000، ص 39؛ ريكور، 2005، ص 115).

3. الجذر التاريخي ونزع القداسة عن الوحي

يمتد المنهج التاريخي إلى إعادة صياغة العلاقة بين النص والمتلقي، مُجرِّداً الخطاب القرآني من طابعه التشريعي المُلزم، فهو ينظر إلى الأحكام كاستجابة سياقية لظروف المجتمع البدائي، لا كتوجيهات دائمة نابعة من إرادة إلهية، وقد أدى هذا المنهج إلى ظهور اتجاه يسعى إلى إعادة بناء المفاهيم العقائدية والأخلاقية بناءً على تطور الوعي الإنساني، لا على ثبات الوحي، وهذا يفتح الباب أمام نماذج تفسيرية مستمدة من

فلسفات التاريخ الحديثة، بدلاً من الإطار العقائدي الإسلامي الأصيل (أبو زيد، 2000، ص 33؛ المسيري، 2009، ج1، ص 142).

مع التطبيق العملي لهذا النهج على بعض مبادئ أطروحات الكلام الجديد، بدأ يبرز تصورٌ مفاده أن مرجعية النص لا تنبع من جوهره، بل من تفسيره البشري المتغير باستمرار، وبالتالي يُمكن إعادة صياغة مقاصد الشريعة الإسلامية، بل وتجاوزها، بحجة تغير البنى الاجتماعية، وهذا يؤدي في النهاية إلى تفكيك الإطار العقائدي الذي يربط الفرد بالوحي الإلهي، وتحويل الدين إلى بناء اجتماعي خالٍ من أي بُعد ميتافيزيقي أو قانوني ملزم، وهذا بدوره يؤدي إلى سلخ الهوية الدينية في سياق تاريخي وثقافي متغير (الرحمن، 1994، ص 214؛ الأنصاري، 2008، ص 63).

4. الجذر العلماني وفصل الدين عن الحياة العامة

في بعض الخطابات المعاصرة المتأثرة بالمناهج العلمانية، برز اتجاهٌ يختزل الدين في أبعاده الأخلاقية والعاطفية البحتة، معتبراً أن غايته الوحيدة هي تهذيب الفرد، مُجرّداً من أي وظيفة معرفية أو تشريعية أو حضارية، وقد حذّر عددٌ من أبرز مفكري الشيعة من مخاطر هذا الاتجاه، معتبرين أن الاقتصار على البعد العاطفي يُفرغ الدين من بنيته التشريعية والعقائدية، ويجعل علاقته بالوحي ذاتيةً وغير مُلزمة، وهذا في نظرهم، يُمهّد الطريق لسلخ الصلة بين الإنسانية والهدى الإلهي، الذي يُشكّل أساس الهوية الدينية (الصدر، 1980، ص 25–26؛ ميلاد، 2000، ص 61).

يؤكد علماء الشيعة المعاصرون أيضاً على أن فصل الدين عن سياقه الاجتماعي والسياسي يفتح الباب أمام رؤية تعتبر الشريعة الإسلامية نتاجاً تاريخياً يفتقر إلى الديمومة أو العالمية، وقد انتقد بعض علماء الشيعة هذا النهج صراحةً، موضحاً أن اختزال الدين في مسألة فردية بحتة يحرمه من دوره في بناء مجتمع عادل، ويفكك حضوره في المجال العام، وهي خطوة حاسمة في سلخ الهوية الدينية، ويؤيد السيد محمد حسين فضل الله هذا الرأي، مؤكداً أن رسالة الإسلام لا تنفصل عن بناء مجتمع يسعى إلى تحقيق القيم الإلهية، لا مجرد مساحة عاطفية خاصة (الموسوي، 1993، ص 33؛ فضل الله، 2002، ص 47).

2.2. المطلب الثاني: مظاهر سلخ الهوية الدينية في علم الكلام الجديد

1. إعادة تعريف الوحي بوصفه تجربة بشرية

وقد حذر عدد من المفكرين والعلماء من أن اختزال الوحي إلى تجربة روحية ذاتية يؤدي إلى إلغاء البعد الميتافيزيقي الموضوعي الذي هو أساس الرسالة الإلهية، لأن الوحي في الرؤية الإسلامية ليس حالة عاطفية تنتج أفكاراً إنسانية، بل هو اتصال حقيقي بالعالم الميتافيزيقي يخلق معرفة موحاة مؤكدة، وأن الوحي في

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

القرآن يقدم كخطاب إلهي مباشر يحمل حقائق تتجاوز قدرة الإدراك العادي، وأن تحويله إلى "تجربة شعورية" يفرغ الرسالة من مضمونها الإلهي ويجعل الدين ظاهرة نفسية قابلة للتأويل بلا نهاية (الطباطبائي، ج12، ص 48).

ويرى الشهيد مرتضى مطهري أيضاً بأن هذا النهج التفسيري، المتأثر باللاهوت البروتستانتي النقدي، يُناقض جوهرياً مفهوم النبوة في العقيدة الإسلامية، يقوم هذا المفهوم على فكرة أن النبي يتلقى معرفة من عالم الغيب، معرفة لا يستطيع أي إنسان، مهما بلغ من العلم الروحي، أن يُنتجها، وأن فهم الوحي على أنه "تجربة باطنية"، يُقوّض السلطة المعرفية والأخلاقية للشريعة الإسلامية، ويُجرّد الرسالة من قوتها الملزمة، ويُجادل بأن هذا يُشكّل أحد أهم جوانب سلخ الهوية الدينية في الخطاب الحديث (مطهري، 1983، ص 28؛ شلايرماخر، 1981، ص 93).

كما يوضح السيد محمد باقر الصدر في تحليله لطبيعة الوحي، فإن النبوة ليست مجرد استيعاب للتجربة الدينية، بل هي اختيار إلهي يُزود النبي بمعرفة لا تُدرك بالبحث أو الحدس، ويجادل الصدر بأن الأقوال التي تُحصر الوحي في نطاق التجربة الشخصية تُنكر قدسية الرسالة، وتُحوّل الدين إلى محاولة بشرية لفهم الوجود، مما يُفتت الهوية العقائدية ويُقوّض أساسها الميتافيزيقي (الصدر، 1987، ص 318).

2. تحويل القرآن من نص مقدس إلى خطاب ثقافي.

في هذا السياق، توسّع خطاب علم الكلام الجديد ليعيد بناء مفهوم الوحي ذاته، معتبراً الخطاب القرآني نتاجاً لتفاعل التجربة الدينية للنبي مع بيئته المحيطة، لا نصاً مُنزلاً بصيغته ومعناه الدقيقين، وهذا يُفرّق بين "الكلمة الإلهية" و"التعبير البشري"، مُشكّلاً قطيعة معرفية مع المصدر الأسمى للوحي كما فهمه علماء الإسلام على مرّ العصور، وقد حذّر العديد من الباحثين من أن هذا النهج يُؤدي إلى علمنة النصوص الدينية وانتهاك حرمتها، ويجعل النص القرآني طيعاً للأطر الحديثة، بدلاً من أن يكون مرجعاً لها (الرازي، 1992، ج1، ص 112؛ أركون، 1998، ص 223).

يُحذّر علماء السلام من أن هذا النهج يُرسي فهماً نسبياً للمعرفة، ويُقوّض السلطة الحقيقية للقرآن الكريم كمرجع أسمى لبناء الإيمان، ويُصبح النصّ حينها عرضة لتأويلات لا تُحصى، تستمدّ شرعيتها من سياقاتها المعاصرة لا من مبادئها الأصلية، وأن التاريخية المطلقة في التعامل مع النصوص تُخرجها من دائرة الهداية، لأن الخطاب القرآني مُوجّه للبشرية جمعاء، لا إلى حقبة تاريخية مُحدّدة (ابن عاشور، 1984، ج1، ص 47؛ الجويني، 1997، ج1، ص 82).

3. نسبية الحقيقة الدينية وإلغاء اليقين العقدي

تأثرت بعض أطروحات علم الكلام الجديد بفكر ما بعد الحداثة، الذي ينكر وجود الحقيقة المطلقة، ويؤمن بنسبيتها باختلاف وجهات النظر والثقافات، ونتيجةً لذلك أصبحت العقائد الدينية مجرد وجهات نظر ثقافية، لا يقينيات إلهية، وهذا النهج يسلخ أسس الهوية الدينية القائمة على الإيمان بالحقائق المطلقة المستمدة من الوحي الإلهي (ريكور، ص 58).

يؤدي تأثير فكر ما بعد الحداثة على الخطاب المعاصر إلى تفكيك اليقين في العقائد الدينية، إذ تُعتبر الحقيقة نسبية لا مطلقة، ونتيجةً لذلك يتحول المعتقد الديني إلى منظور ثقافي بدلًا من وحي إلهي مُلزم، ووفقًا لهذا النهج، يُصبح النص خاضعاً لسلطة القارئ، مما يُضعف مركزية الوحي ويُقوّض ثبات الإيمان، وقد حذّر علماء الإسلام من مثل هذه المقاربات، فقد أكّد الجويني على ضرورة ثبات النص ومكانته، بينما حذّر الغزالي والبغدادي من أن إخضاع الوحي للأهواء يُقوّض اليقين العقائدي، وأكد الشاطبي وابن عاشور أن نسبية النص تُهدد جوهر الهوية الدينية، القائمة على الحقائق الإلهية المطلقة (الجويني، 1997، ج1، ص 85؛ الغزالي، 1962، ص 34؛ البغدادي، 2002، ص 51؛ الشاطبي، 1992، ج1، ص 113؛ ابن عاشور، 1978، ص 72).

4. إعادة تفسير الشريعة بوصفها منظومة قيم متغيرة

من أبرز مظاهر سلخ الهوية الدينية إعادة تعريف الشريعة الإسلامية كنظام قيم أخلاقية متغيرة، بدلاً من كونها أحكاماً ثابتة أنزلها الله تعالى، يجادل هذا الاتجاه بأن الشريعة الإسلامية ليست وحياً إلهياً، بل هي "تفسير بشري للوحي"، يتغير مع الزمن والمجتمع، مما يجرد الأحكام الدينية من سلطتها الملزمة (سروش، 2002، ص 130).

يرى علماء الإمامية أن سلخ الشريعة الإسلامية إلى "نظام قيم أخلاقية متغيرة" يتناقض مع جوهرها الحقيقي، بوصفها أحكاماً ثابتة أنزلها الله، لا تخضع لتقلبات الوعي البشري، وتضح بأن الأحكام الدينية "خطابات إلهية ملزمة"، لا يجوز تحريف جوهرها الملزم باعتبار أنها قيم ظرفية أو تفسيرات ثقافية (المرتضى، 1405هـ، ص 112).

يعتقد عدد من علماء الإمامية البارزين أن تحويل الشريعة الإسلامية إلى "تفسير بشري للوحي" أو جعلها نتاجاً اجتماعياً متغيراً يُقوّض جوهر التشريع الإلهي، ثم يُؤكد العلامة الطباطبائي أن الوحي حقيقة سامية، لا يخضع للتاريخ أو التأويل الثقافي، وأن إخضاع الشريعة الإسلامية لمقتضيات المجتمع يُحوّل النصوص الدينية إلى نتاج ثقافي مُجرّد من أي قوة إلزام، يُشير السيد محمد باقر الصدر إلى أن ثبات الشريعة الإسلامية أساسي للحفاظ على الهوية الدينية، وأن مرونة التشريع تتحقق من خلال آليات الاجتهاد،

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

لا من خلال نسبية الأحكام أو حصرها في ظروف الناس، ويُؤكد الشيخ الأنصاري أن دور الفقيه هو استنباط الأحكام الإلهية من الأدلة الشرعية، لا صياغتها وفقاً لمتغيرات العصر، وأن جعل الأحكام "تفسيراً بشرياً" يُبطل إلزام الفقه، ويضيف محمد جواد مغنية أن ربط الأحكام بمتغيرات الواقع إلى درجة نزع حجية الأمر الواقع عنها يعد خروجاً على النظام التشريعي الإسلامي، لأن الأحكام جزء من نظام إلهي لا يخضع لتقلبات الزمان (الطباطبائي، ج1، ص 55–57؛ الصدر، 1980، ص 330؛ الأنصاري، 1385هـ، ص 4–6؛ مغنية، 1982، ج1، ص 23).

5. تفكيك التراث العقدي وتقويض السلطة العلمية

تسعى بعض اتجاهات علم الكلام الجديد إلى تفكيك التراث الفقهي والشرعي، باعتباره مجرد بناء تاريخي خالٍ من أي قيمة معرفية ملزمة، وهذا يؤدي إلى سلخ مرجعية العلماء، وتفتيت التراث الفكري للأمة، ويُعد هذا التفكيك مقدمة ضرورية لإعادة صياغة الدين وفق نماذج معرفية جديدة، منفصلة عن جذوره الأصلية (هابرماس، 1988، ص 186).

يؤكد علماء الإمامية أن هذا النهج التفكيكي يُقوّض مكانة التراث الإسلامي كامتداد لفهم الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، فالمعرفة الدينية ليست بناءً تاريخياً منفصلاً، بل هي سلسلة مترابطة من الصرامة العلمية، يقوم فيها العلماء بدور كشف مقاصد الشريعة الإسلامية، ولذلك حذّر العلامة الطباطبائي من محاولات تفكيك بنية هذا التراث، إذ إنها تقطع الصلة بمصادر الهداية، وتُحوّل الدين إلى بناء مائع يفتقر إلى معيار ثابت، وبالمثل أكّد السيد محمد باقر الصدر أن تجاهل التراث الفقهي والعقائدي بحجة "تاريخيته" يُبطل مرجعية المعرفة الدينية، ويُقوّض صرح الاجتهاد المبني على أسس فكرية ونصية راسخة، وهذا يُمهّد الطريق لإعادة صياغة الدين وفق أطر بشرية منفصلة عن الوحي الإلهي (الطباطبائي، ج1، ص 59–61؛ الصدر، ص 23–25).

2.3. المطلب الثالث: أثر هذه الجذور والمظاهر في تشكيل خطاب كلامي منزوع الهوية

لقد أنتج تلاقي هذه الجذور والمظاهر خطاباً جديداً يُجرّد الدين من صفاته الإلهية، ويُعيد صياغته ضمن الأطر الفلسفية الغربية، مما يُؤدي إلى تشويه الهوية الدينية وإعادة إنتاجها في صورة إنسانية نسبية، وتكمن خطورة هذا المسار في قطع صلة المجتمع بهويته العقائدية، وتحويلها إلى بناء ثقافي قابل للتشكيل، بدلاً من كونها حقيقة ثابتة مستمدة من الوحي الإلهي (نصر، 1991، ص 27).

تشير الدراسات الكلامية الإمامية إلى أن هذا المسار يُنتج في نهاية المطاف خطاباً دينياً منفصلاً عن أصوله، لأن إفراغ الإيمان من بُعده الإلهي يُخضعه لمنهجيات بشرية محدودة لا تدرك الغيب ولا مقاصد

الشريعة الإسلامية، وأن اتباع المناهج الفلسفية الغربية دون الالتزام بالشريعة الإسلامية يؤدي إلى "سلخ الإيمان"، وتحويله إلى بناء معرفي نسبي خالٍ من أي قوة ملزمة، مما يؤدي في النهاية إلى انهيار أسس الهوية العقائدية، وأن محاولة تفسير الدين من خارج إطاره المعرفي باستخدام أدوات حديثة منفصلة عن الوحي الإلهي تقطع الصلة بين الأمة الإسلامية وتراثها النبوي الشريف، ويصبح الدين حينئذٍ بناءً بشرياً بدلاً من هدى إلهي، وهو ما يُشكل في جوهره تحريفاً جوهرياً للرسالة نفسها (الصدر، 1986، ص 12–14؛ الطباطبائي، 1984، ج1، ص 41–44).

3. المبحث الثالث: الآثار النقدية والمعالجة

3.1. المطلب الأول: الآثار النقدية والاجتماعية والثقافية

أولًا: الآثار العقدية والمعرفية لسلخ الهوية الدينية

لمحاولات سلخ الهوية الدينية في علم الكلام الجديد تداعيات مباشرة على بنية العقيدة الإسلامية، وتُصبح بعض القضايا العقائدية محوريةً في النسبية والتأويل الرمزي، مما يُضعف يقينيتها ويُقوّض الإيمان لدى الأفراد والمجتمعات، ويؤثر هذا التفكيك على المنظومة المعرفية الإسلامية برمتها، مُحوّلاً إياها من منهجية شاملة قائمة على النصوص والوحي إلى قراءة نسبية إنسانية محدودة بحدود التجربة الثقافية (الجابري، ص118).

يؤدي هذا التشرذم أيضاً إلى فقدان اليقين في فهم العقيدة والعبادة، مما يُظهر لدى البعض ازدواجية بين ممارسة الشعائر والالتزام بالمعتقدات الدينية، وقبول إعادة تفسير الدين نظرياً وفق معايير نسبية وحديثة، وهذا يُضعف الهوية الدينية الفردية والجماعية، ويُعرّض المجتمع الإسلامي لتأثير الأطر الثقافية الخارجية (مطهري، 1992، ص 44).

ثانياً: الآثار الاجتماعية والثقافية

تتجلى آثار سلخ الهوية الدينية على المستوى الاجتماعي في تراجع التماسك الاجتماعي وصعوبة الالتزام بالمعايير الأخلاقية والاجتماعية المستمدة من الدين، مع تراجع تأثير الخطاب الديني على حياة الأفراد، هذا الانفصال بين الدين والواقع العملي يُضعف القدرة على مقاومة التأثيرات الثقافية الخارجية، ويُقلل من دور المؤسسات الدينية في توجيه المجتمع (نصر، ص 28).

يقول العلامة الطباطبائي: "إنّ النظريات التي تفسّر الدين بأنه ظاهرة اجتماعية أو ثقافية خاضعة للتغيّر تُسقط عنه صفة الهداية الإلهية، وتجعل معارفه تابعة لأهواء الناس وتقلّبات البيئة، وبذلك يفقد الدين

دوره في بناء هوية الأمة وحفظ تراثها الرسالي عبر الأجيال" (الطباطبائي، ج1، ص 49)، وفي المجال الثقافي يؤدي سلخ الهوية إلى انتشار فهم متغير ومتعدد للدين، بحيث يصبح الدين ظاهرة ثقافية قابلة للتكيف والتغيير، مما يساهم في تفتيت الهوية الإسلامية ويقلل من قدرتها على الحفاظ على تراثها الحضاري والفكري عبر الأجيال (المسيري، 2002، ص 75).

ويتحدث السبحاني عن خطورة تحويل الدين إلى مجرد بناء ثقافي قابل للتعدد والتغير، ويحذر من أن هذه الرؤية تسلب الدين أصالته الإلهية، وتؤدي إلى تفكك الهوية العقدية للأمة وانتقالها من الثبات الظاهري وحياني إلى النسبية الإنسانية المتغيرة، وأيضاً يرفض الآملي في هذا الموضع الاتجاهات الفكرية التي تتعامل مع الدين بوصفه ظاهرة اجتماعية قابلة للتبدّل، ويؤكد أنّ هذا المنهج يُنتج فهماً مفرغاً من جذوره الإلهية ويُضعف البنية الروحية والعقدية للأمة، مما يؤدي إلى ضياع هويتها الحضارية والثقافية عبر الأجيال (السبحاني، 2003، ص 89؛ الآملي، 1430هـ، ج1، ص 114).

3.2. المطلب الثاني: طرق معالجة سلخ الهوية الدينية

أولاً: النقد العلمي لظاهرة سلخ الهوية

يؤكد باحثون ومفكرون أن سلخ الهوية الدينية يُعدّ تجاوزاً للحدود المقبولة في التجديد الديني، إذ يخلط بين التجديد المشروع الذي يخدم العلم والفكر، والتفكيك الذي يُقوّض جوهر الإيمان والشريعة الإسلامية، ويؤكدون على أن الخطاب الكلامي الديني يجب أن يُوازن بين الحفاظ على المعتقدات الجوهرية واحتضان مستجدات (العلواني، 1991، ص 115).

يوضح الصدر أن أي حركة إصلاحية يجب أن ترتكز على ثوابت الوحي الإلهي وثوابته الثابتة، وأن تجاوز هذه المبادئ تحت ستار الحداثة أو التطوير يؤدي إلى هدم سلخ الهوية الدينية، ويحوّل الإصلاح إلى عملية تفكيك تُقوّض قدسية النص وسلطته، كما يُشدد على أن التجديد الحقيقي لا يعني تحرير الفكر من الدين، بل الاستلهام من النص لبناء رؤى معاصرة دون المساس بثوابت الإيمان والشريعة الإسلامية (الصدر، 2014، ص 55).

قال أمير المؤمنين عليه السلام في التحذير من التأويل الفاسد واتباع الأهواء: "وَإِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللهِ، وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا..."(الإمام علي، 2005، ص 79)، يشير بعض النقاد أيضاً إلى أن المشاريع الكلامية القائمة على نسبية الحقيقة أو التفسير الرمزي المفرط تُهدد الحفاظ على الهوية الدينية، وتحرمها من قدرتها على توجيه المجتمع أخلاقياً وروحياً، لذلك،

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

يجب التمييز بوضوح بين النقد البنّاء الذي يُسهم في التجديد الفكري، والتفكيك الذي يُؤدي إلى التشويه الفكري والديني (الشاطبي، 1992، ج1، ص 50).

ثانياً: سبل المعالجة سلخ الهوية الدينية

يتطلب التصدي لسلخ الهوية الدينية منهجية تجمع بين التمسك بأصول الإيمان والتجديد المنضبط القائم على المبادئ العقلانية والمنهجية، ويؤكد العلماء على ضرورة إعادة تفسير النصوص الدينية بما يحفظ قدسيتها ويعزز فهماً أعمق لمعانيها، دون الخضوع للتفسيرات الحديثة التي تهدد الهوية الدينية، ويؤكد مطهري أنّ التجديد الديني الحقيقي يقوم على الاجتهاد المنضبط بالأصول القطعية للعقيدة والشريعة، وأن أي محاولة لقراءة النصوص قراءة حداثية منفلتة تؤدي إلى "تحريف مقاصد الوحي"، وتهديد الهوية الدينية للمجتمع، كما يشدد على أن الجمع بين حفظ قدسية النص و إعمال العقل المنهجي هو الطريق الصحيح للتعامل مع متغيرات العصر دون الوقوع في فخ سلخ الهوية(مطهري، 1994، ص 47؛ طه، 2000، ص 215).

ويتضمن المنهج المقترح أيضاً تعزيز التربية العقائدية والتربوية التي تركز على الهوية الإسلامية، وتعزز قدرة الطلبة والباحثين على التمييز بين التجديد المشروع وفقدان الهوية، بما يحافظ على التوازن بين الدين والعقل والواقع الاجتماعي (شبستري، 2005، ص 36).

ويقترح بعض المفكرين تطوير إطار كلامي وعقائدي نقدي يستوعب تطورات العصر دون المساس بجوهر الدين، بحيث يتم الحفاظ على النص والهوية، ويستمر الخطاب الكلامي في خدمة المجتمع كأسلوب حياة وليس مجرد مشروع فكري نظري (مصباح اليزدي، 2010، ص 118؛ سروش، 2002، ص 135).

ثالثاً: طرق معالجة سلخ الهوية الدينية عند أهل البيت (عليهم السلام).

اهتم أهل البيت (عليهم السلام) اهتماماً مباشراً بالحفاظ على الهوية الدينية، وضمان استمرارية العقيدة والشريعة الإسلامية كمرجعية ثابتة للأمة، وعالجوا خطر سلخ الهوية من خلال عدة مستويات مترابطة:

أولاً: أكدوا على التمسك بالمبادئ والعقائد الراسخة، وحثوا على عدم المساس بها تحت أي ضغط اجتماعي أو ثقافي، وشجعوا على الاعتماد على الوحي الإلهي مصدراً للهداية، فقد ورد عن الإمام علي (عليه السلام): "من اعتصم بكتاب الله تمسّك بالهدى، ومن خالفه أضلّ سبيله" (الإمام علي، 2005، ص 23).

ثانياً: وركزوا على التوجيه والإرشاد الفكري لضمان تفسير النصوص الدينية تفسيراً متوازناً يحافظ على المبادئ الأساسية ويمنع الانحراف العقائدي، كما قال الإمام الصادق (عليه السلام): "إنما الدين معناه أن تعرف الحق وتعمل به، فلا تزيغوا عنه بآراء فاسدة" (الصدوق، 1997، ج1، ص 12).

ثالثاً: وأشاروا إلى أن الاجتهاد المنضبط في إطار الأصول الثابتة هو سبيل إلى التجديد المشروع الذي يخدم الدين والفكر دون المساس بجوهر العقيدة والشريعة، حيث يقول الإمام الباقر (عليه السلام): "من اجتهد فصيب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد"، مع مراعاة قواعد النصوص وأصول الدين دون سلخ الهوية الدينية (الصدوق، 1982، ص 45).

رابعاً: لقد اهتم أهل البيت (عليهم السلام) بالحفاظ على التراث الثقافي والفكري للأمة من خلال بناء جيل من العلماء والطلبة الذين يعرفون مبادئ وهوية الدين، ليكونوا ضماناً ضد الانحراف الفكري، كما جاء في قول الإمام علي (عليه السلام): "تعلموا العلم فإنه زينة لكم وحصنكم من الضلال" (الإمام علي، 2005، ص 112).

الخاتمة

يتناول هذا البحث ظاهرة سلخ الهوية الدينية في علم الكلام الجديد، مُحللاً جذورها الفكرية والفلسفية، ومظاهرها العقدية والاجتماعية، وآثارها على الفرد والمجتمع، ويُبرز البحث الأثر العميق لهذه الظاهرة على الفرد والمجتمع، إذ تُضعف الإيمان، وسلخ مرجعية النصوص الدينية، وتُهدد التماسك الاجتماعي، وتُعيق استمرارية الهوية الكلامية الإسلامية كمنظومة واحدة قادرة على الحفاظ على أصالتها ورسالتها.

يركز هذا البحث على التمييز بين التجديد الشرعي الذي يخدم الدين والعقل معاً، والتفكيك الهدام الذي يُفرغ النصوص المقدسة من جوهرها، ويؤكد على أن التجديد الحقيقي يوازن بين الحفاظ على المبادئ العقائدية والشرعية ومواكبة متطلبات العصر وتحولاته الفكرية والاجتماعية، ومن هذا المنظور، يقدم البحث إطاراً علمياً لمعالجة هذه الظاهرة وحماية الهوية الدينية من السلخ أو التشويه، ويؤكد على أهمية النقد العلمي والمنهجي لضمان استمرار الخطاب الديني الكلامي في خدمة المجتمع كمنهج حياة، لا مجرد مشروع فكري نظري، وهذا ما يحفظ فهم الأمة الصحيح للنصوص المقدسة، ويعزز أسسها العقائدية والاجتماعية.

بهذه الوسائل، ضمن أهل البيت (عليهم السلام) أن يظل الدين هوية متينة للأمة ومرجعاً للوعي والعيش الإسلامي، مع التوازن بين الثوابت العقدية ومتطلبات العصر، دون الانغماس في القراءات البشرية المفرطة أو التحريف العقائدي، ومن أهم تقسيمات هذا البحث.

أولًا: أبرز النتائج

1. تحديد مفهوم سلخ الهوية الدينية: لقد أصبح واضحاً أن سلخ الهوية الدينية يعني تفكيك البنية العقائدية والأخلاقية للفرد والمجتمع، وتحويل الدين من نظام إلهي ثابت إلى ظاهرة إنسانية نسبية قابلة للتغيير.
2. الجذور الفكرية والفلسفية: أكدت الدراسة أن الجذور الرئيسية لهذه الظاهرة تتمثل في:
   - العقلانية الحديثة ومركزية الإنسان كمصدر للمعرفة.
   - الهرمنيوطيقا وإعادة تعريف النصوص الدينية.
   - المنهج التاريخاني الذي ينظر إلى الوحي كنص تاريخي.
   - الاتجاهات العلمانية التي فصلت الدين عن الحياة العامة.
3. المظاهر الكلامية لسلخ الهوية: وشمل ذلك إعادة تعريف الوحي باعتباره تجربة إنسانية، وتحويل القرآن إلى خطاب ثقافي، ونسبية الحقيقة الدينية، وإعادة تفسير الشريعة باعتبارها مجموعة من القيم المتغيرة، وتفكيك التراث العقائدي، وتقويض السلطة العلمية.
4. الآثار الفردية والاجتماعية والثقافية: إن سلخ الفرد من هويته الدينية يؤدي إلى فقدان اليقين في المعتقدات العقائدية، ويضعف التماسك الاجتماعي، ويقلل من قدرة المجتمع على التعامل مع التأثيرات الثقافية الخارجية، ويضعف الدور التوجيهي للنصوص الدينية.
5. التمييز بين التجديد المشروع وسلخ الهوية: أكد البحث على ضرورة التمييز بين التجديد المنضبط الذي يحفظ الثوابت العقائدية، والتفكيك الهدام الذي يمس جوهر الدين ويسلخ الهوية الدينية الإسلامية.

ثانياً: التوصيات

1. الالتزام بالأصول العقائدية: ضرورة الحفاظ على أصول الدين وثوابته في عملية التجديد الفكري.
2. تعزيز التربية العقائدية والفكرية: تصميم برامج تعليمية وتدريبية للطلاب والباحثين لتعزيز الهوية الإسلامية وتمكينهم من التمييز بين التجديد الشرعي وسلخ الهوية.
3. تطوير مناهج البحث: اعتماد مناهج علمية موضوعية في دراسة النصوص الدينية، مع الموازنة بين الفهم المعاصر للواقع والحجية الإلهية للنصوص.
4. حماية التراث الإسلامي: الحفاظ على التراث العقائدي والكلامي من التشرذم المفرط، وتوظيفه بما يتناسب مع متطلبات العصر دون المساس بجوهره.

5. الحوار بين الفكر الإسلامي والعلوم الحديثة: بناء جسور تواصل منهجية مع المذاهب الفكرية والفلسفية الحديثة، مع الالتزام بالأصول الدينية بما يخدم المجتمع.

ثالثًا: مقترحات لأبحاث مستقبلية

1. دراسة أثر سلخ الهوية الدينية على الشباب المسلم في المجتمعات المعاصرة.
2. دراسة دور التعليم الديني في مقاومة الفكر الحداثي التفكيكي.
3. إجراء دراسة مقارنة بين علم الكلام القديم وعلم الكلام الجديد، من منظور تأثير كل منهما على الهوية الدينية الإسلامية.
4. دراسة أثر الأطر الفلسفية الغربية على الفهم الحديث للدين، مع التركيز على الهرمنيوطيقا وما بعد الحداثة.
5. دراسة إمكانيات تجديد الخطاب الديني دون المساس بالمبادئ العقائدية.

المصادر

القرآن الكريم

[1] أبو زيد، نصر حامد. (1990). مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن (ط3). الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي.

[2] أركون، محمد. (1998). نقد العقل الإسلامي (ترجمة هاشم صالح، ط2). بيروت: مركز الإنماء القومي.

[3] الإمام علي (عليه السلام). (2005). نهج البلاغة (تحقيق الشريف الرضي، ط1). بيروت: دار المعرفة.

[4] الآملي، حسن زاده. (1430هـ). الرسائل التوحيدية (ج1، ط3). قم: مركز نشر آثار العلامة حسن زاده الآملي.

[5] الأنصاري، فريد. (2008). بيان للناس: من أجل رسالة قرآنية خالدة (ط2). الدار البيضاء: دار السلام.

[6] الأنصاري، مرتضى. (1385هـ). الرسائل. النجف: مطبعة الآداب.

[7] البارقي، إدريس بن علي. (2023). مفهوم علم الكلام الجديد ونشأته. مجلة جايس، 7(23).

[8] البغدادي، عبد القاهر. (2002). أصول الدين (تحقيق أحمد شمس الدين، ط1). بيروت: دار

الكتب العلمية.

[9] بول ريكور. (2005). نظرية التأويل: الخطاب وتفسيره (ترجمة سعيد الغانمي، ط1). بيروت: المركز الثقافي العربي.

[10] الجابري، محمد عابد. (2009). بنية العقل العربي (ط2). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

[11] الجابري، محمد عابد. (1995). نقد العقل الحديث: فكر ما بعد النهضة (ط1). الدار البيضاء: مركز دراسات الوحدة العربية.

[12] الغزالي، أبو حامد محمد. (1962). الاقتصاد في الاعتقاد (تحقيق فهمي هويدي، ط1). القاهرة: دار الكتب الحديثة.

[13] الجويني، إمام الحرمين. (1997). البرهان في أصول الفقه (تحقيق عبد العظيم الديب، ط3، ج1). المنصورة: دار الوفاء.

[14] حلاق، وائل. (2014). الدولة المستحيلة: الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي (ترجمة عمرو عثمان، ط1). بيروت: المركز العربي للأبحاث.

[15] الحلي، نجم الدين جعفر بن الحسن (المحقق الحلي). (1412هـ). معارج الأصول (ط2). قم: منشورات جماعة المدرسين.

[16] الرازي، فخر الدين. (1992). المحصول في علم الأصول (تحقيق طه جابر العلواني، ط2). بيروت: مؤسسة الرسالة.

[17] الرحمن، طه عبد. (1994). تجديد المنهج في تقويم التراث (ط1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

[18] الرفاعي، عبد الجبار. (2012). علم الكلام الجديد: دراسة في الأسس والمناهج (ط2). بيروت: مركز دراسات فلسفة الدين.

[19] الرفاعي، عبد الجبار. (2015). علم الكلام الجديد وفلسفة الدين (ط1). بيروت: مركز دراسات فلسفة الدين.

[20] الريسوني، أحمد. (2013). نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي (ط5). القاهرة: دار الكلمة.

[21] السبحاني، جعفر. (1424/2003هـ). التعددية الدينية: نقد وتحليل (ط1). قم: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.

[22] سروش، عبد الكريم. (1998). الصراطات المستقيمة (ترجمة فريد جمالي، ط2). طهران: مؤسسة

الصراط المستقيم.

[23] سروش، عبد الكريم. (2002). القبض والبسط في الشريعة (ترجمة أحمد القبانجي، ط1). بيروت: دار الجديد.

[24] الشاطبي، إبراهيم بن موسى. (1997). الموافقات في أصول الشريعة (تحقيق عبد الله دراز، ط2). بيروت: دار المعرفة.

[25] الشاطبي، إبراهيم بن موسى. (1992). الاعتصام (تحقيق مشهور حسن سلمان، ط1). الرياض: دار ابن عفان.

[26] شبستري، محمد مجتهد. (2001). نقد القراءة الرسمية للدين (ترجمة أحمد القبانجي، ط1). بيروت: دار الهادي.

[27] شبستري، محمد مجتهد. (2005). الإيمان والحرية (ط1). بيروت: دار الهادي.

[28] الصدر، محمد باقر. (1980). الإسلام يقود الحياة (ط2). بيروت: دار التعارف.

[29] الصدر، محمد باقر. (1980). اقتصادنا (ط5). بيروت: دار التعارف.

[30] الصدر، محمد باقر. (1987). الأسس المنطقية للاستقراء (ط4). بيروت: دار التعارف.

[31] الصدر، محمد باقر. (2013). التفسير الموضوعي للقرآن الكريم (ط3). بيروت: دار التعارف.

[32] الصدر، محمد باقر. (2014). المدرسة القرآنية (ط2). نجف: مركز الأبحاث العقائدية.

[33] الصدر، محمد باقر. (1986). دروس في علم الأصول، الحلقة الثالثة. بيروت: دار الفكر العربي.

[34] الصدوق، محمد بن علي. (1982). الخصال (تحقيق علي أكبر الغفاري، ط2). بيروت: دار التعارف.

[35] الصدوق، محمد بن علي. (1997). من لا يحضره الفقيه (تحقيق عبد الله شرف الدين، ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

[36] الطباطبائي، محمد حسين. (1984). أصول الفلسفة والمذهب الواقعي (تعليقات الشهيد مرتضى مطهري، ج1). قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

[37] الطباطبائي، محمد حسين. (1997). الميزان في تفسير القرآن (ط5). قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

[38] طه، عبد الرحمن. (2012). روح الدين: من ضيق العلمانية إلى سعة الائتمانية (ط1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

[39] الطوسي، محمد بن الحسن. (1408هـ). العدة في أصول الفقه (تحقيق محمد رضا الأنصاري

القمي، ط1). قم: مؤسسة النشر الإسلامي.
[40] العاملي، محمد بن الحسين (الشهيد الثاني). (1410هـ). شرح اللمعة الدمشقية (ط2). طهران: دار الكتب الإسلامية.
[41] العلواني، طه جابر. (1991). أزمة العقل المسلم (ط1). هرندن، أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
[42] عمارة، محمد. (2006). التجديد في الفكر الإسلامي (ط3). القاهرة: دار الشروق.
[43] عمارة، محمد. (2007). معالم التجديد الإسلامي (ط1). القاهرة: دار الشروق.
[44] غادامير، هانز جورج. (2007). الحقيقة والمنهج (ترجمة حسن ناصر، ط1). بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
[45] غادامير، هانس غيورغ. (1986). الحقيقة والمنهج (ترجمة حسن حنفي، ط1). بيروت: دار التنوير.
[46] الغزالي، أبو حامد محمد. (1993). المستصفى في علم الأصول (تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
[47] شلايرماخر، فريدريك. (1981). خطاب في الدين (ترجمة سامي الدروبي، ط1). دمشق: دار الفكر.
[48] فضل الله، محمد حسين. (2002). الحوار في القرآن (ط3). بيروت: دار الملاك.
[49] القرضاوي، يوسف. (2001). مدخل لمعرفة الإسلام (ط8). القاهرة: مكتبة وهبة.
[50] المجلسي، محمد باقر. (1983). بحار الأنوار (ط2). بيروت: مؤسسة الوفاء.
[51] المرتضى، مرتضى. (1405هـ). الذخيرة في علم الكلام (تحقيق أحمد الحسيني، ط1). قم: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.
[52] المسيري، عبد الوهاب. (2009). العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة (ط4). القاهرة: دار الشروق.
[53] المسيري، عبد الوهاب. (1999). الفردوس الأرضي: دراسات وانطباعات عن الحضارة الأمريكية (ط1). القاهرة: دار الشروق.
[54] المسيري، عبد الوهاب. (2002). الفكر الإسلامي المعاصر: نقد وبناء (ط1). القاهرة: دار الشروق.
[55] مصباح اليزدي، محمد تقي. (2010). المنهج الجديد في علم الكلام (ط1). قم: مؤسسة الإمام الخميني.
[56] مطهري، مرتضى. (1994). الاجتهاد في الإسلام (ط2). قم: دار الفكر الإسلامي.

[57] طه، عبد الرحمن. (2000). سؤال الأخلاق (ط1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
[58] مطهري، مرتضى. (1992). الإسلام ومتطلبات العصر (ط1). بيروت: دار التعارف.
[59] مطهري، مرتضى. (1983). النبوة (ط2). طهران: دار صدرا.
[60] مغنية، محمد جواد. (1982). فقه الإمام جعفر الصادق (ع) (ج1، ط2). بيروت: دار العلم للملايين.
[61] الموسوي، روح الله الخميني. (1993). الحكومة الإسلامية (ولاية الفقيه) (ط5). بيروت: دار التعارف.
[62] ميلاد، زكي. (2000). الفكر الإسلامي وتحديات الحداثة (ط1). بيروت: دار الهادي.
[63] نصر، سيد حسين. (1991). العلم والحضارة في الإسلام (ط3، ترجمة محمود سيد أحمد). القاهرة: دار الشروق.
[64] نصر، سيد حسين. (2003). العلم والحضارة في الإسلام (ط3). لندن: دار الساقي.
[65] هابرماس، يورغن. (1988). الخطاب الفلسفي للحداثة (ترجمة فؤاد زكريا، ط1). بيروت: دار التنوير.